أنور المعداوي

مأساة ناقد

إن فهم الحياة هو أن نفتح لها أبواب العقل، أما تذوق الحياة فهو أن نفتح لتجاربها أبواب الشعور، هكذا قال الناقد الراحل أنور المعداوي، عن نظرية (الأداء النفسي) التى تبناها، وعمل طيلة حياته على تفعيلها والترسيخ لها، وقامت هذه النظرية – من وجهة نظره – على أساس التفرقة بين العقل والشعور، بل وتتحدد ملامح هذه النظرية أيضا على التذوق والشعور أكثر مما تعتمد على الفهم والعقل. وقد سبق أنور المعداوى إلى هذه النظرية أستاذه "سيد قطب".

ولد أنور المعداوى فى ٣ مايو ١٩٢٠ بقرية معدية مهدي، مركز فوة، محافظة كفر الشيخ، وكان الابن الوحيد بين ثلاث بنات شقيقات له، وكانت هذه القرية لها تأثير كبير على تشكيل وجدان المعداوى لما لها من طبيعة خاصة وخلابة، حيث يمر نهر النيل من أمامها آتياً من قناطر أدفينا فى طريقه إلى مدينة رشيد، وما أكثر ما شاهد "أنور" وهو طفل، قوارب الصيد الصغيرة وهى تجوب النهر وقت العصاري، والنوارس البيضاء

التى تنقر وجه المياه، ثم تطير مرفرفة إلى السماء.

التحق المعداوى بالمدرسة الابتدائية ثم الإعدادية ثم الثانوية، ثم انتقل إلى القاهرة ليدرس فى كلية الآداب جامعة القاهرة، وتخرج فى قسم اللغة العربية بها سنة ١٩٤٦، وظهرت ميوله الأدبية منذ سن مبكرة، فعكف على كتب التراث ينهل منها، وكذلك الشعر القديم الذى وجد فيه ملاذه، وكون ثقافة ضخمة ومتنوعة، فيما تسمى بالثقافة الموسوعية.

كانت الساحة الأدبية فى ذاك الوقت فى مسيس الحاجة إلى مولد ناقد أدبي، بعد خلوها من النقاد، إذ شغل كل من: د. طه حسين، عباس العقاد، ومحمد مندور بالسياسة والحياة النيابية والحزبية، وفى عام ١٩٤٧ ظهر اسم المعداوي، وسرعان ما تألق نجمه وذاعت شهرته، رغم أنه – وقتها – كان لا يتجاوز الثلاثين من عمره، وكما يشير الناقد رجاء النقاش فى كتابه "بين المعداوى وفدوى طوقان" كانت المرحلة الأولى من حياة المعداوى الأدبية هى مرحلة ظهوره وتألق نجمه وقد امتدت هذه المرحلة من سنة ١٩٤٨ إلى سنة ١٩٥٢ وكان الأديب والناقد الكبير سيد قطب قد قدم المعداوى إلى القراء فى (مجلة العالم العربي) التى كانت تصدر فى القاهرة وكتب المعداوى فى هذه المجلة لفترة من الوقت ثم انتقل إلى مجلة الرسالة ابتداء من سنة ١٩٤٨ صار المعداوى أكبر ناقد أدبى فى العالم العربي، بل وربما الناقد الوحيد بعد سفر سيد قطب إلى أمريكا وانشغاله بقضية

الإصلاح الديني، وكانت تعقيبات المعداوى الأسبوعية بمجلة الرسالة التى كان يديرها ويرأس تحريرها الكاتب الكبير أحمد حسن الزيات – وقد التحق المعداوى للعمل بها بعد أن ترك مجلة العالم العربى – تملأ الدنيا وتشغل الناس، وكانت بمثابة ميلاد شاعر أو كاتب لو تناوله المعداوى بقلمه، وكان جريئا جرأة جعلته لا يتردد فى إبداء رأيه بمنتهى الصراحة فى أى أديب أو شاعر مهما كان وضعه، ومهما كانت مكانته الأدبية، ويقول النقاش: فقد هاجم – المعداوى – طه حسين، وهاجم العقاد، وهاجم سلامة موسي، وكان هؤلاء جميعاً من كبار الكتاب والأدباء، وكانوا قد صنعوا لأنفسهم مكانة راسخة فى الحياة الأدبية والثقافية. ومع ذلك لم يعبأ المعداوى بشئ من ذلك بل اشتبك معهم فى معارك أدبية وفكرية، بعضها كانت حادة عنيفة مثل معركته مع سلامة موسى وبعضها كانت هادئة إلى حد ما.

علاقته بفدوى طوقان

وفى فترة تألق المعداوى الأدبية من عام ١٩٤٨ حتى ١٩٥٢ وهى فترة عمله بمجلة الرسالة، بدأت تتوطد علاقته بالشاعرة الفلسطينية فدوى طوقان، بعدما عرض عليها أن ينشر لها شعرها فى ديوان، وبالفعل قام بنشر ديوانها الأول (وحدى مع الأيام) فى مصر، وأشرف على طباعته ومراجعته بنفسه، بل وأهتم بإخراجه كأنه عمل خاص به، وهذا ما

كان يفعله مع كثيرين من الأدباء، فكان ينقب عن الأصوات الجادة والواعدة من شتى أنحاء الوطن العربي، ويقدمها إلى القراء، وخصوصا من كانوا فى بداية طريقهم الإبداعي.

ظلت العلاقة بين المعداوى وفدوى تتنامى إلى أن تطورت وأثمرت كنزا أدبيا رفيع المستوى عبارة عن سبع عشرة رسالة أدبية متبادلة بينهما، ولم تكن تلك الرسائل مجرد علاقة عاطفية بين اثنين، ولكنها كانت بمثابة مقالات أدبية رفيعة المستوى، تحتوى على رصد للواقع الثقافى آنذاك. بل وتتعرض لقضايا نقدية وأدبية فى غاية الأهمية.

مأساة المعداوي

عمل المعداوى بعد تخرجه فى إدارة الثقافة العامة بوزارة المعارف، ثم انتقل منها ليعمل مدرسا للغة العربية بمدرسة خليل أغا الثانوية، وفصلته وزارة المعارف لانقطاعه عن العمل فترات طويلة، وبقى فترة بلا عمل.

وبعد إنشاء وزارة الثقافة عمل المعداوى بها بمكافأة- أى ليس له درجة مالية – لكن المرض جعله يتغيب لفترة وعاد مرة أخرى للعمل بوزارة الثقافة، وظل فى هذه الوظيفة لأخر يوم فى حياته.

وقد أصدر المعداوى فى حياته كتابين، أولهما "نماذج فنية من الأدب والنقد" عام ١٩٥١، أما الثانى فقد أصدرته

وزارة الثقافة العراقية بمساعدة الأديب الناقد محى الدين إسماعيل، وهو كتاب "على محمود طه الشاعر والإنسان" صدر هذا الكتاب عام ١٩٦٥، أى قبل وفاة المعداوى بشهور قليلة، وكان المعداوى قد أتم الكتاب فى أوائل الخمسينيات، ولم يتمكن من إصداره إلا بعد عشر سنوات من أتمامه.

أما كتابه الثالث فهو (كلمات فى الأدب) وقد صدر هذا الكتاب عام ١٩٦٦، أى بعد وفاة المعداوى بشهور، وقد أصدرته المكتبة العصرية فى لبنان بمساعدة الأديب الناقد غالى شكري، على أن هذه الكتاب الثلاثة لا تمثل كل إنتاج المعداوي، فللمعداوى كثير من المقالات والدراسات التى لو تم جمعها وتصنيفها لقدمت إلى المكتبة ما يقرب من ثلاثة كتب كبيرة أخري.

وحينما مرض المعداوى تنكرت له الحياة الثقافية، ولم تتحرك إليه، وهو الذى ملأ الدنيا ضجيجا بتعقيباته ومعاركه الأدبية مع كبار الأدباء والكتاب فى ذاك الوقت على صفحات مجلة الرسالة، ولما أغلقت الرسالة أبوابها زادت من مأساة المعداوي، وبدأ يكتب فى مجلة "الآداب البيروتية" ولكنه لم يستمر طويلا إذ عاوده المرض، فترك القاهرة ورجع إلى قريته، وهجر القراءة والكتابة لدرجة أنه كان لا يقرأ الصحف اليومية، وظل على هذا الحال فترة إلى أن مات كمدا بانفجار فى شرايين دماغه سنة ١٩٦٥، ولم يحضر جنازته من القاهرة سوى خمسة أفراد فقط من

تلامذته ومحبيه، ويبدو أن هذا هو قدر المبدعين الكبار، رحم الله الناقد الكبير أنور المعداوى الذى أثرى حياتنا الثقافية. والعجيب فى الأمر أن الدولة قد كرمت المعداوى بعد وفاته بأن منحته جائزة الدولة التشجيعية فى الأدب عن كتابه (على محمود طه الشاعر والإنسان) وأطلقت وزارة الثقافة اسمه على بيت ثقافة فى مطوبس، ثم انتقل اسمه ليوضع على بيت ثقافة الطفل بكفر الشيخ وسيظل اسم المعداوى حيا قى ضمير البشرية.

وكان لىّ شرف الالتحاق بالعمل بهذا البيت فى بداية حياتى الوظيفية مسئولاً عن الثقافة العامة ومقرراً لنادى الأدب لمدة ثلاث سنوات من ١٩٩٢ حتى منتصف ١٩٩٥، بعدها انتقلت للعمل بإدارة الثقافة العامة بهيئة قصور الثقافة بالقاهرة،

★ نشر بجريدة القاهرة فى ٢٢ ديسمبر ٢٠٠٩

openkandil.com